«هَدْيُ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ»

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي جَعَلَ الصِّيَامَ جُنَّةً، وَمَهَّدَهُ سَبِيلاً مُوْصِلاً إِلَى الْجَنَّةِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، سِيَاحَةِ الْمُتَّقِينَ، وَدَأْبِ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَامَ النَّهَارَ وَقَامَ اللَّيْلَ،صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ مَا حَنَّتِ النُّفُوسُ لِاسْتِقْبَالِ شَهْرِ الْمُبْرَاتِ، وَتَسَامَتْ عَنِ الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَاشْتَاقَتِ الأَرْوَاحُ إِلَى رِيَاضِ الذِّكْرِ وَالصَّلَوَاتِ، وَرُفِعَتِ الأَكُفَّالُ إِلَى رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ،وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْمُيَامِينَ الْبَرَرَةِ،وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ.

يَا عِبَادَ اللّهِ، مِنْ هَدْيِ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِهِ فَيَقُولُ:

«قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتَرَضَ اللّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ،تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ،وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ،فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ،مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ».

عِبَادَ اللّه؛ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ يُبَشِّرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ شَهْرِ الصِّيَامِ، تَحْفِيزًا لَهُمْ وَإِعْدَادًا لَهُمْ لاسْتِقْبَالِهِ بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ التَّقْوَى وَالإِخْلاَصِ، وَالصَّبْرِ وَالإِيْثَارِ وَالْعَطَاءِ.وَذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَهْرٌ مُبَارَكٌ»أَيْ ذُو بَرَكَةٍ وَخَيْرٍ كَثِيرٍ، فَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ إِلاَّ أَنْ يَغْتَنِمَهُ صِيَامًا وَقِيَامًا وَإِنْفَاقًا وَإِحْسَانًا فِي النِّيَّاتِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْعَمَلِ.

كَمَا يُنَبِّهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ مِنْ بَرَكَاتِهِ أَنَّهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجِنَانِ، وَهِيَ الْعِبَادَةُ الْخَالِصَةُ مِنْ صَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَذِكْرٍ وَتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعَ الإِتْقَانِ فِيهِ، وَأَدَائِهِ كَمَا يَجِبُ، وَعَدَمِ التَّهَاوُنِ أَوِ التَّفْرِيطِ فِي الْمَسْؤُولِيَّاتِ الْمَنُوطَةِ بِالْمُسْلِمِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ مَبْنِيًّا عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِالْحَقِّ، وَحُسْنِ مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ»أَيْ تُغْلَقُ فِيهِ أَسْبَابُهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي يَتَجَنَّبُهَا النَّاسُ فِي رَمَضَانَ، وَذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِهِ وَخَيْرَاتِهِ، إِذْ يُحِسُّ الْجَمِيعُ بِحُرْمَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْحَالِ، وَتَدُومُ الْيَقْظَةُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَتَسْتَنِيرُ بِنُورِ الصِّيَامِ، فَتُغْلَقُ الأَبْوَابُ عَلَى الشَّيَاطِينِ؛ إِذْ مَنْفَذُ الشَّيْطَانِ إِلَى الإِنْسَانِ الْغَفْلَةُ

وَالشَّهَوَاتُ، فَإِنْ دَامَتِ الْيَقْظَةُ وَمُنِعَ الإِنْسَانُ مِنْ شَهَوَاتِهِ، سُدَّتْ عَلَى الشَّيَاطِينِ أَبْوَابُهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ الصِّيَامُ جُنَّةٌ أَيْ وَقَايَةً،كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»أَيْ وَقَايَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا، وَوَقَايَةٌ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ.وَكَمَا قَالَ الْحَقُّ جَلَّ وَعَلاَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الْبَقَرَةَ: 183].

نَفَّعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلاَلِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ،وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ الْمُخْتَصِّ بِصَادِقِ حُجَّتِهِ وَقَاطِعِ بُرْهَانِهِ،سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَائِرِ الْمُتَمَسْكِينَ بِهَدْيِهِ فِي سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ.

يَا عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَيْهِ وَالتَّوَاصِي بِهِ، أَنْ نَرْبِطَ السِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ الْعِطْرَةَ،بِحَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؛ لِنَسْعَدَ بِهَا وَنُسْعِدَ غَيْرَنَا، وَنَعِيشَ بِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً. وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ نَتَسَاءَلَ: كَيْفَ كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟وَكَيْفَ كَانُوا يَسْتَعِدُّونَ لَهُ؟ هَلْ كَانَ رَمَضَانُ عِنْدَهُمْ مَوْسِمًا لِلتَّنَافُسِ فِي اقْتِنَاءِ كُلِّ الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، أَمْ مَوْسِمًا لِلْغَلاَءِ وَاحْتِكَارِ السِّلَعِ فِي الأَسْوَاقِ؟

وَهَلْ مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الإِسْرَافُ وَالتَّبْذِيرُ فِي شَهْرٍ أَوْلاَهُ أَنْ يَكُونَ شَهْرَ اقْتِصَادٍ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ؟ وَهَلْ كَانُوا يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ وَيَنَامُونَ بِالنَّهَارِ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ صَائِمُونَ؟ أَمْ كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَهُمْ شَهْرَ الْعَمَلِ بِامْتِيَازٍ، فِيهِ شَهِدُوا مَشَاهِدَ كَثِيرَةً لَهَا تَارِيخٌ؛ كَوَقْعَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى الَّتِي خَلَّدَهَا الْقُرْآنُ، وَفَتْحِ مَكَّةَ الَّذِي كَانَ فَتْحَ الْفُتُوحِ.

إِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِهِ خَيْرًا، وَيَتَفَاءَلُونَ بِقُدُومِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَبْلَهُ، وَيَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَبُولَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَهُ، فَكَانُوا يَعِيشُونَ مَعَ رَمَضَانَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى مَدَارِ الْعَامِ.

يَقُولُ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَنْ يَصْلُحَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا». وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ أَقْبَلَ عَلَى الْمُصْحَفِ، يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى اتِّبَاعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ وَيُعَارِضُهُ

عَلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؛ لأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، أَنْزَلَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، وَسَنَّ فِيهِ تِلاَوَتَهُ وَتَدَبُرَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ.

يَقُولُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا:

«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ،وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ،وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ،يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ،فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»

تِلْكَمْ عِبَادَ اللّهِ بَعْضُ الْوَمْضَاتِ مِنَ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ فِي اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ، نَسْأَلُ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى وَلِيِّ أَمْرِنَا خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَوَلِيِّ عهده، وَسَائِرِ أُمَرَاءِ أُسْرَتِهِ جَمِيعًا بِالْيُمْنِ وَالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ،وَأَنْ يَمْتِعَنَا بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ حَتَّى نَصُومَهُ وَنَقُومَهُ، وَنَسْتَفِيدَ مِنْ غَايَاتِهِ الَّتِي شُرِعَ مِنْ أَجْلِهَا.آمِينَ.

إِخْوَةَ الإِيمَانِ اتَّقُوا اللّه ،وَأَقْبِلُوا عَلَى الْخَيْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، اِمْتِثَالاً لأَمْرِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَانِ، تَنَالُوا الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْعِتْقَ مِنَ النِّيرَانِ.

هَذَا وَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْخَاتِمِ كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ،إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَارْضَ اللّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ،وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَانْصُرْ اللّهُمَّ مَنْ وَلَيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ،وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ نَصْرًا تَعِزُّ بِهِ الدِّينَ وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اللّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ اللّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ،وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ وَمَبْرَاتِهِ وَخَيْرَاتِهِ،وَأَمْتِعْنَا فِيهِ جِسْدًا وَرُوحًا وَعَقْلاً بِالْقُرْبِ مِنْكَ،وَاجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ لِنِعَمِكَ،اللّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِسَائِرِ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ،وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ،وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.